

سنوات إبادة المسلمين وتفكيك بلادهم

د. مصطفى الرفاعي

وزير الصناعة والتنمية التكنولوجية الأسبق

ضربات موقوتة تتم بتعتيم إعلامي تام وبتنسيق جيد بين تحالفات اجتمعت على إبادة المسلمين وقهرهم بالقوة وإذلالهم التام بحرمانهم من آدميتهم وباستباحة حرماهم وبتعذيبهم. فكر عنصرى يتكرر دورياً كل بضعة قرون، كلما ظهر طاغية يمتلك القوة ويستولى على ثرواتهم، ولا ضرر من إضفاء معانى دينية على هذا الفكر العنصرى المريض.

سندرك ما يجرى الآن عندما تحل بنا مصائبه، وبعد أن تتفكك بلادنا وتتحول إلى دويلات متناحرة لا حول لها ولا قوة- مخترقة من الداخل، ضاعت قوتها بضياع مقوماتها وقيمها وهويتها، تتنافس لإرضاء الغزاة الأعداء طمعاً فى حياة رخيصة!

فى التاريخ دروس هامة وخطيرة:

إذا لم نتعلم من أحداث التاريخ سندفع ثمناً غالياً.

. فى ١٥ يوليو ١٠٦٩م احتل الأوروبيون القدس وذبحوا ٤٠ ألفاً من سكانها العرب وستمائة يهودى جرت دماؤهم سيولاً فى طرق القدس. هؤلاء العرب لم يكونوا مقاتلين أو مسلحين. أوروبا لا زالت تحمل إرث هذه المجزرة التى تظل صفحة سوداء فى تاريخ علاقاتها بالمسلمين.

. فى القرن الخامس عشر، أى بعد ٤ قرون تم قتل وطرده المسلمين من الأندلس، سواء من دخل الإسلام طواعية من الأسبان أو من استقر فى

الأندلس لقرون. كانت ولاية غرناطة هي آخر ولاية سقطت في أيدي الكاثوليك. أُجبر المسلمون على اعتناق المسيحية وقتل من تمسك بالإسلام ديناً، وهرب من هرب في زوارق غرق معظمها - لزيادة الحمولة - قبل أن يصل الساحل الإفريقي - مجزرة تاريخية كبرى.

. كانت الأندلس منارة للحضارة والعلم، قامت على مبادئ حرية العبادة والعدل ورعاية العلوم، شعراؤها كانوا أعظم الشعراء، ومع الرفاهية وحب السلطة وأمانية حكام الطوائف أصاب بلاد الأندلس التفكك والفتن، وتحالف بعض الحكام مع الغزاة الكاثوليك ضد جيرانهم المسلمين حتى أتى دورهم، وانتهوا جميعاً إلى غير رجعة. ما أشبه اليوم بالأمس.

واستمرت حملات وغزوات المستعمرين الأوروبيين لبلادنا:

. بعد ٤ قرون أخرى عادت شهوة استعمار الأوروبيين للشرق - قبل ظهور البترول ببلادنا. امتلاك القوة العسكرية والأساطيل البحرية شجع بريطانيا وفرنسا وألمانيا على استخدام هذه القوة في غزو بلادنا واستعمارها اقتصادياً. احتل المستعمرون الأوروبيون مصر وسوريا ولبنان والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والخليج العربي والعراق.

. لم تحصل الدول العربية على استقلالها إلا بعد نضال وكفاح كلفها تضحيات إنسانية جسيمة وفقدت الآلاف من أبنائها في معارك ضد جيوش عسكرية عديدة يستحيل التغلب عليها، خروج المستعمر كان لإدراكه المتأخر أن القوة وحدها لا تكفى، وأن استمرار الاحتلال غير مجدى حينما تأبى الشعوب الاحتلال وتقاومه بشجاعة وتجاهد بإيمان وعقيدة لتحرير أرضها ودفاعاً عن كرامتها وشرفها.

• حين دارت عمليات الحرب العالمية الثانية على أرضنا- كان القتال نزاعاً بين المحور والحلفاء على احتلال أرضنا والاستيلاء على قناة السويس التي مات في حفرها ١٣٠ ألف مصري على يد المغامر دبليسبس وعصابته. انتهت المعارك وتركوا لنا ما يزيد على ٢٢ مليون لغم وجسم قابل للانفجار منتشرة على مسطح ٥٠٠ ألف فدان لم يسعوا لإزالتها رغم مرور ٦٥ عاماً ورغم امتلاكهم القدرة المادية والتقنية.

• الاستعمار الاقتصادي لبلادنا كان أقل بشاعة من الاستعمار الاستيطاني للجزائر وفلسطين، الاستعمار الاقتصادي كان هدفه سلب ثرواتنا واستغلالها لصالح رفاهية الإنسان الأوروبي، أما الاستعمار الاستيطاني فهو أشد قوة وضراوة لأنه يطرد أصحاب الأرض من أرضهم ويستولى على مساكنهم ويملكها لأجناس أوروبية ويعمل على تغيير الهوية وتدمير الحضارة. ما يحدث في فلسطين هو صورة حية لذلك نشهدها ونعيشها يوماً رغم التعقيم على الفضائح سواء في الصحف اليومية أو على شاشات التلفزيون، تفرغ الأرض من سكانها بإجلائهم أو إبادتهم والاستيلاء على مساكنهم وأرضهم والتوسع على حساب الغير بسياسة الخطوة خطوة.

حملات الإبادة الأخيرة

البوسنة والشيشان

حين سكت العرب والمسلمون عن إبادة المسلمين بالبوسنة عام ١٩٩٢ وحين سكتوا أيضاً عن إبادة شعب الشيشان الأبى المسلم وحين أيدوا حرب العراق ضد إيران أدركت الفاشية الغربية أن العالم الإسلامي في غيبوبة وأن الفرصة قد حانت للإجهاز عليه وتفكيكه لدويلات و كانتونات- وإلى إطلاق يد إسرائيل لتنفيذ أطماعها

فى التوسع وفى إبادة العرب. وأدى ذلك إلى الحملات العسكرية الجارية الآن فى العراق وفلسطين وأفغانستان ولبنان ودول أخرى سيأتى دورها.

لم يتحرك المسلمون دفاعاً عن إخوانهم فى الإنسانية والإسلام بالبوسنة والشيشان، بل استمرت الدول الإسلامية والعربية فى علاقات ودية مع روسيا والصرب. تركت أوروبا ميلوسوفيتش كى يكمل جريمته الكبرى. إبادات جماعية للمسلمين واغتصاب المسلمات الحرائر وتهجير أطفال المسلمين إلى الدول الأوروبية لتنصيرهم.

لم نعد نسمع عن البوسنة فى الإعلام، ذهبت عنها هويتها المسلمة ويتناوب رئاستها كرواتى وصربى ومسلم بشكل هلامى أمريكى الصنع وبموافقة وتأييد أوروبا التى رفضت وجود دويلة مسلمة بها.

العراق وفلسطين وأفغانستان ولبنان

إذا كانت الإدارة الأمريكية ماضية فى ذبح العراق وإبادة شعب عربى شقيق فإن بعض منفذى هذه السياسة الوحشية من الجنود الأمريكيين لم يجدوا فى هذه الحرب القذرة وفى وحشية ترويع النساء والأطفال وقتل المدنيين العراقيين عشوائياً ما يتفق مع ما يعرفونه عن مبادئ المسيحية أو مع ما تدعيه كذباً الإدارة الأمريكية.

نشرت الأهرام منذ أيام الخبر باقتضاب والذى يتضح منه أن ما جرى بالعراق ما بين منتصف الليل والخامسة صباحاً فى بغداد هو مجازر وممارسات وحشية، حيث يتم اقتحام البيوت وقتل الأطفال والنساء والرجال بعد ترويعهم أو اغتصابهن - هول كبير يذكرنا بذبح ٤٠ ألف عربى بالقدس عام ١٠٦٩م بل يتجاوز عدد قتلاه وضحاياه مئات الألوف من العرب والمسلمين.

يقول الخبر أن بعض الجنود الأمريكيين يعانون من اضطراب نفسى وصدمة من بشاعة ما يشاركون فيه، حين يقال لهم أن كل من لا يتكلم الإنجليزية من ذوى البشرة السمراء ليسوا ببشر ويجوز اقتيادهم وقتلهم. كما يذكر الخبر أن ٥٠ عسكرياً أمريكياً سيفضحون هذه المجازر والممارسات الوحشية ضد المدنيين العراقيين. وكما حدث فى البوسنة فقد أغمض الأوروبيون العين وسكت البابا بندكت حتى تتم هجمة الإبادة العرقية.

يقتصر لدى الغرب احترام كرامة الإنسان وحياته على الإنسان الأبيض فقط، ولا يسرى على الأجناس الأخرى مثل العرب والمسلمين والهنود الحمر والزنوج فقتلهم مباح.

إن حملة الإبادة العرقية للمسلمين تسير على قدم وساق فى العراق وأفغانستان وفلسطين، وتعرض الدول العربية الأخرى لضغوط- وهى ليست بمنأى، من منا يذكر تدمير الطيران الإسرائيلى لأحياء كاملة ببيروت (عمارات سكنية وبنية تحتية ومرافق)؟ لم يعد ذلك محل حديث واهتمام. الحديث الآن عن الصراعات الشخصية على السلطة- لدرجة طلب الدعم والحماية من العدو- فى دول تئن شعوبها من خراب غزوات العدو. صراعات وفتن داخلية تحقق للعدو نتائج باهرة لم يستطع أن يحققها على أرض لبنان التى انسحب منها مهزوماً تاركاً خلفه الألغام والدمار.

عودة الاستعمار لبلادنا

علينا أن نعترف بكل أسى وأسف أن تقدير الدول الفاشية والاستعمارية لحال الدول العربية كان صحيحاً- تقديرهم كان أن الفرصة مواتية لتنفيذ مخططات الاختراق

والتفكير، وأن العالم العربي ما هو إلا جثة هامة شغلته أمواله والمصالح الشخصية واستشرت به الأحقاد والفتن، ولو أن العرب تمسكوا بدينهم لهبوا دفاعاً عن أرض عربية كانت على مر العصور منارة للحضارة العربية والإسلامية، اعترى شعب العراق دائماً بعروبه وبأصوله ولغته؛ كان منه العلماء وخبراء البترول العالميين والثروات المتنوعة، مصر والعراق كانتا دائماً حصنين للأمة العربية، ولولا أصالة شعب العراق وعراقته لاستسلم بخنوع للقوات الأمريكية والبريطانية ولما قاوم ببسالة لأربع سنوات وبتضحيات جبارة.

تعلمنا من التاريخ أن الدول التي انشغلت بالمتعة والرفاهية والملذات وتبارت في مظاهر الثراء كانت على عتبات التحلل والانهيار. حدث ذلك في الأندلس ويحدث الآن في كثير من البلاد العربية، ويشهد على ذلك انشغال شعوب المنطقة بثروات طائلة نتجت عن عائدات البترول، وصاحب ذلك لامبالاة بأحداث خطيرة ومآسى تعاني منها شعوباً شقيقة بالعراق أو فلسطين.

وإذا كنا غير قادرين على مساعدة شعب العراق ودعم المقاومة لتحرير هذا البلد من الاحتلال، فمن الواجب ألا نتحالف مع القوى الاستعمارية الفاشية التي أتت إلى الشرق الأوسط لتمزيقه. فإن المقاومة هي السبيل الوحيد للتصدي للاحتلال وهي أكثر فاعلية من الجبوش النظامية. إن الشعب المصري لن يغضب لعقاب مصر باستقطاع ٢٠٠ مليون دولاراً من المعونة الأمريكية كما صرح وزير خارجيتنا خلال زيارته الأخيرة لواشنطن - ولكنه يغضب لما جرى من اعتداءات وحشية على حياة وأعراض المسلمين بالعراق.

إن الإدارة الأمريكية الحالية قد ارتكبت أخطاءً فاحشة في حق الإنسانية والعالم. وحملت الولايات المتحدة خسائراً مالية جسيمة وإرثاً من الفظائع الإنسانية يمنعها

من تبوأ أى موقع قيادى بين دول العالم.
حان الوقت للرجوع عن تأييد هذه الإدارة لأنها تحارب المعركة الأخيرة داخلياً
وخارجياً بشراسة الرمح الأخير طمعاً فى الجائزة الكبرى- بترول العراق ثم
استعمار المنطقة. هزيمة التجمع الفاشى الاستعمارى وانتصار المقاومة فى
أفغانستان والعراق هو انتصار لنا ضد هذه الحملة الباغية، فانتصار حزب الله فى
لبنان كان مفاجأة للجميع.

إن تصفية المقاومة فى العراق ولبنان وفلسطين سيفتح الطريق أمام تحالف
الولايات المتحدة وأوروبا وإسرائيل لتنفيذ المخطط الذى وضعوه الشرق الأوسط
جديد"، وهو شرق أوسط مكون من دويلات أو كانتونات خاضعة للولايات المتحدة
وإسرائيل، يجعل من إسرائيل قوة كبرى بالمنطقة، المقاومة هى خط الدفاع الأول
والأخير لنا ودعمها واجب، ولنا تاريخ مشرف فى دعم حركات التحرير.

اتحاد دول الغرب وتفكيك بلادنا

تاريخ رؤوس الاستعمار يبنى بدعائمهم السياسى فى خلق دويلات صغيرة ضعيفة
تكون خاضعة تماماً لأوروبا والولايات المتحدة ولا تجرؤ على الاتحاد. فكر سياسى
يعاكس تماماً القومية العربية ويقضى للأبد على أى مشروع لاتحاد الدول العربية أو
تضامنها. وهذا هو عكس ما فعلوه فى بلادهم، الولايات المتحدة ستظل مدينة
لأبراهام لنكونن لأنه رفض انفصال الجنوب عن الاتحاد وقرر خوض الحرب الأهلية
حفاظاً على الاتحاد، ماذا لو أن باقى الولايات انفصلت تبعاً وأعلنت استقلالها، قرار
عدم السماح بتفكيك اتحاد الولايات المتحدة الأمريكية كان سبباً فى وصولها إلى ما
وصلت إليه كأكبر قوة عسكرية وصناعية وتكنولوجية فى العالم تخشاها بريطانيا
التي كانت تستعمرها وباقى دول أوروبا القديمة.

وإذا كان لينكولن أدى أحسن خدمة لبلده بعدم السماح بتفكيكه، فإن روسيا فقدت بتفكيك الاتحاد السوفيتي نفوذها العالمي والكثير من الثروات الطبيعية، إنجاز تاريخي حققه رونالد ريجان يتمنى جورج بوش تكراره في المنطقة العربية كي يحقق مجده وأحلامه الامبراطورية.

هناك مثال آخر جيد يعبر عن فكر المستعمرين في تقسيم المناطق بما حقق لهم السيطرة والهيمنة دون الحاجة للاحتلال بقوات (عنصر تكلفة). بريطانيا قسمت منطقة الخليج إلى الإمارات المتصالحة بخريطة عجيبة تداخلت فيها الحدود والأراضي لكل إمارة. وتولى الولاية في كل إمارة شيوخ القبائل. ولولا نجاح الشيخ زايد في جمع هذه الإمارات داخل الاتحاد لما كان للإمارات العربية قدرة أو شأن. ويذكر التاريخ أن قطر اختارت عدم الانضمام للاتحاد وهي الآن نموذج جيد ترغب الولايات المتحدة بتأييد أوروبي تكراره في كل مناطق العالم العربي.

تم تقسيم الشام إلى سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ثم تقسيم فلسطين الذي لم نقله في عام ١٩٤٧ وانتهينا بعد ٦٠ عاماً إلى واقع أسوأ. كما قسم القرن الأفريقي إلى إريتريا وأثيوبيا والصومال وجيبوتي.

طموحات أوروبا بعد الاتحاد

استطاع الأوروبيون استيعاب اختلاف اللغات والمذاهب والعرقيات والتاريخ والانضمام داخل اتحاد واحد. الاتحاد الأوروبي اتحاد اقتصادي وسياسي لا يجمعه سوى الجغرافيا والمسيحية ويجمعه أيضاً تاريخ استعماري يعتزون به ويدرسونه بالمدارس. ذهبت الامبراطورية البريطانية التي كانت لا تغيب عنها الشمس.

مستعمرات هولندا بآسيا تحولت إلى دول صاعدة في حين أصبحت هولندا بلداً صغيراً في المساحة والتعداد والثروات الطبيعية. فقدت أسبانيا والبرتغال مستعمراتها بأمريكا الجنوبية وآسيا. كما فقدت فرنسا مستعمراتها بأفريقيا (تونس والجزائر والمغرب ومالي والسنغال وساحل العاج وغيرها).

قيام الاتحاد الأوروبي واتحاد ألمانيا الغربية والشرقية وانضمام دول أوروبا الشرقية للاتحاد أنشأ قوة جديدة ترغب في أن يكون لها نصيباً هاماً في تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ سياسية واقتصادية، عودة إلى الاستعمار الاقتصادي بأسلوب العصر الحديث ودون الحاجة إلى الاحتلال بالجيوش فخسائره كبيرة، والجيوش مرفهة لم تعد ترغب في القتال وتكلفة الاحتلال كبيرة. لا يجمع دول الاتحاد سوى تاريخ استعماري ودين مسيحي، وفي هذا ما يفسر رفض بعض دول الاتحاد انضمام تركيا المسلمة العلمانية للاتحاد.

بدأ الاتحاد الأوروبي بمنطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط باتفاقيات تكون آليات للاختراق السياسي والاستحواد على الأسواق - وقع اتفاقيات شراكة مع كل دولة على حدة - تحولت فيما بعد إلى ما يسمى اتفاقيات جوار.

يستخدم الغرب المنح والمعونات للتأثير على السياسات والمجتمع ولتفكيكه وتغيير قيمه وللتدخل في التعليم والدين وإثارة الفتن الداخلية وللقضاء على تماسك المجتمع ونسيجه، وكذلك لإضعاف سلطات الدولة (فوضى خلقة)، ويصب كل ذلك في مخططات تفكيك الدول العربية وإضعافها والقضاء على القومية وعلى روح الانتماء والوطنية. علينا أن نخطط للاستغناء عن هذه المعونات المشروطة لأنها لن تدوم في جميع الأحوال (ستتوقف المعونة الأمريكية بعد ٢٠٠٨م).

إسرائيل صنيعة أوروبية يحكمها يهود أوروبا، تدرس لأطفالها بالمدارس ثقافة احتقار وقتل العرب، وبجسارتهم المعتادة يدعون أن هذا ليس إرهاباً أو تطرفاً دينياً وعنصرية- بل واحة الديمقراطية بإقرار الغرب!!

مخططات التفكيك

تفكيك دول الشرق الأوسط إلى دويلات وكانتونات شبيهة بدويلات الخليج مخطط مشترك تجمع عليه وتباركه الولايات المتحدة وأوروبا وإسرائيل. لهم جميعاً مصلحة مشتركة فيه- وهو فكر سياسى استراتيجى يناظر ما سبق تطبيقه بنجاح لهم فى الاتحاد السوفيتى والبلقان والخليج العربى (عمان- الإمارات- قطر- البحرين- الكويت).

مخططات التفكيك راسخة فى فكر الاستعمار الذى ينبئ بما لم تفصح عنه وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس. فى الشرق الأوسط الجديد لن تكون هناك دولاً كبيرة مثل مصر والسعودية والسودان والعراق وسوريا. التركيز على الاختلاف العرقى والمذهبى والدينى سيسهل على الدول الاستعمارية عمليات التقسيم كما سيسمح بعودة أقليات جديدة ترتبط مصالحها بالأجانب مثل الآسيويين واليهود وجاليات شرق وجنوب أوروبا (نظام الخواجات)- ومع فقدان الهوية والقضاء على القومية العربية سيكون الدافع الوحيد هو المصالح المادية الشخصية، وهذا هو ما بدأ يبرز بوضوح فى دول الخليج على حساب الانتماء القومى العربى.

القوميات والعرقيات والمذاهب بالعالم العربى كثيرة: أكراد ومارونيه ودروز وسنة وشيعة وكاثوليك وأرثودكس وغير ذلك. من الواضح أن هناك مخطط لتقسيم السودان إلى ٣ دول. الشمال (النوبة) وجنوب السودان ودرافور (الشمال العربى

سيكون أقل حظاً في الثروات). الخلافات المشتعلة بين طوائف لبنان وفؤاد السنيورة واميل لحود وفي فلسطين بين فتح وحماس تساعد على التعجيل بالتمزيق والانفصال. وبعد الانفصال ستنتهي الحاجة إلى من آثروا مصالحهم الشخصية على مصالح أوطانهم - لأن المطلوب سيكون حكماً يقبلون بأوضاع وأدوار جديدة مثل حامد قرضاي.

سيأتي دور سوريا لأن الحكم بعثى علوى في بلد أغلبه من السكان السنة - وهو يقف وحيداً معزولاً ومحاصراً كآخر حصن للقومية العربية، يحاك له ما يحاك في تحقيقات اغتيال رفيق الحريري بانخراط تام من فؤاد السنيورة الذي كان أولى به أن يطالب حلفاءه بتعمير خراب العدوان الإسرائيلي على بلده.

اشعال الفتنة في مصر يجرى على قدم وساق وعلى صفحات الجرائد. ويجند له عملاء الاستعمار من شخصيات تبحث عن دور.

إن الحروب الدائرة الآن هي ابتلاء وامتحان من الله لإرادته نافذة في الكون، وقد وعدنا سبحانه وتعالى النصر حين قال: "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم". وقد صدق وعده.

إن تضامن الدول الإسلامية والعربية سيلقى تأييداً من الشعوب ويزيد من قوة الحكومات في مواجهة الضغوط الخارجية المتصاعدة، الشعوب ترغب أن ترى تضامناً جيداً بين الأنظمة العربية لمواجهة ما يحرق بنا من أخطار، ولقد سئمت ما تراه من خلافات وشرذمة لا مبرر لها.